الإمام الجواد عليه السلام

وآثاره التربوية



١٤

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

السلام عليك يا مولاي يا محمد الجواد

الإمام الجواد عليه السلام

وآثاره التربوية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣١ هـ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وبعد..

إن من أهم الاسباب التي ترقى با لمجتمعات المدنية وتجعلها في مصاف ا لمجتمعات الراقية التي تحترم الانسان وتجعل له قيمة حقيقية أمام نفسه وأمام غيره هو أن يكون هنالك منهجاً أصيلاً صحيحاً خالياً من العيوب والسلبيات عند تطبيقه هذا اولاً، وثانياً أن يكون هناك قائداً يقود ا لمجتمع نحو تطبيق هذا المنهج الصحيح ومعلماً لهم من خلال تطبيق نفس المنهج على نفسه أولاً ثم القريبين من اهل بيته وأصحابه ثم ينطلق نحو مجتمعه وأبناء جلدته، وهنا لا بد من مناقشة عدة أمور وتوضيحها قبل الدخول الى دور الإمام ا لجواد عليه السلام في تربية ا لمجتمع الفاضل.

من المعروف انه لا بد للمجتمع من منهج صحيح معتدل يسير عليه افراد ا لمجتمع، ولهذا نجد أن المناهج التي طبقت في ا لمجتمعات البشرية لها نوعين، الاول منهاج التشريع الانساني

وهـو الذي يكون نتاج العقل البشـري البحـت والذي يصدر إما مـن فرد واحـد يعدّل عليه مـن خلال العقول الـتي تأتي بعده، فتصحـح السـلبيات الـتي طرأت عليـه أو اضافة مـا لم يكن في الحسـبان وأمـا يكون مـن البداية صادراً مـن مجموعة العقلاء والمفكريـن مجتمعين ومتفقين في اصدار هـذا المنهاج والقانون أو التشـريع الاجتماعـي، هذا هـو النوع الاول من أنـواع المنهج الرسـالي للمجتمعـات البشـرية ولكـن لهـذا النوع مـن المنهج الاجتماعي المادي سلبيات عدة أهمها:

١. إن العقـل البشـري مهمـا زاد في تفكـيره ودقـق النظـر في مسألة من المسائل فإنه لا يصل الى المصا لح والنتائج الحقيقية والمرجـوة الـتي يريدهـا، وذلـك بسـبب إن العقـل البشـري لا يستطيع الاطلاع على الغيب او ما ستكون عليه الامة وا لمجتمع في المستقبل.

٢. إن العقل البشـري لا يسـتطيع التجرد من الميول والاهواء والمصـا لح الخاصة بـل دائماً يكـون معتمدا في اصـدار الاحكام علـى مصالحـه الشـخصية وأهوائـه وميوله، وهـذا واضح لكل مسـتقرىء لتأريـخ الحضـارات البشـرية وإننا نجد دائمـاً أنها تحمل سمة المصا لح الشـخصية وظهور الشـهوات النفسـية في سـلوكيات ومناهج ا لمجتمعات المادية والتي لم ترجع الى أسـاس وتشريع آلهي.

٣. إن العقل البشري لا يمكنه الاطلاع على جميع البشر من بداية خلق الإنسان وحتى انتهاء العالم وبالتالي فهو لا يعلم ماذا يصلح تلك المجتمعات السابقة واللاحقة اجتماعياً واخلاقياً وبالتالي يكون رهين الابتداع والابتكار كلما فاجئته حاجة أو مشكلة اجتماعية وكما هو معروف من مقولة (ان الحاجة أم الاختراع).

هذه بعض السلبيات التي تنتج من المنهج الاجتماعي المادي البحت ومن دون الاستناد الى أي تشريع آلهي يخص هذا المجتمعات.

أما النوع الثاني للمنهج الاجتماعي أو السلوك الاجتماعي فهو المنهج الإلهي الرحماني الذي ينزل الى البشرية حتى تكون آمنة وسعيدة متجهة الى نحو الكمال والرقي الإنساني مع التزام طريق العبودية لله تعالى وهو طريق السعادة الاخروية الدائمة غير المنقطعة، أما الطريق الموصل الى هذا التشريع الإلهي للمجتمع وسلوكياته وتعاملاته وعلاقاته، فهو منحصر لا يأتي إلا عن طريق الانبياء وأوصيائهم المتحمّلين عبء التبليغ والوصاية والحفاظ على هذا المنهج والقانون الإلهي.

من هذا نجد ان من اهم الادوار التي مارسها الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام هو حرصه على بناء مجتمع يتسلح بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم، لذا فإننا نرى ان كلمات الإمام

ا الجـواد عليه السلام كانت في الأعم الاغلب مهتمة في تحديد هذا الدور وتوضيـح السـلوك للمجتمـع الـذي يجب عليه السـير بنهجه كمـا نلاحـظ من خـلال تتبع آثار هـذا الإمـام العظيم عليه السلام إنه ركز اهتمامه في ترسـيخ هذا الدور في المجتمع الاسلامي آنذاك وخاصة للجماعة التي كانت تحيط به.

السلوك التربوي لدى الإمام عليه السلام

لقد ركزّ الإمام الجواد عليه السلام على جهتين من السلوك الاجتماعي

الاولى: جهة سلوك الفرد تجاه إخوانه المؤمنين وكيفية السلوك والتعامل معهم.

الثانية: جهة سلوك الفرد تجاه مجتمعه كافة بغض النظر عن الدين والمذهب والعرق.

لذا سنحاول في هذه العجالة من استعراض هاتين الجهتين وتناول بعض الأخبار الواردة عنه عليه السلام وبالتالي سنفهم جانباً مهما من جوانب هذا الإمام العظيم الذي سعى سعياً حثيثاً في تحقيق اهداف شريعة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وتطبيق ما أراد الله من المجتمعات الانسانية من سعادة الدنيا والاخرة.

الجهة الاولى

سلوك الفرد اتجاه إخوانه من المؤمنين والتعامل معهم:

إن سلوك الإنسان المؤمن لا بد أن يكون منصبغاً بصبغة الاسلام

والإيمـان معاً وبالتالي يصح اطلاق تسـمية الاسـلام والإيمان علـى هـذا الإنسـان لأن مسـألة الايمان لهـا وجهـان، الاول هو علاقة الإنسـان بربه وذلك من خلال التخلق بحقيقة العبودية الخالصة لله تعالى والوجه الثاني هو علاقة الإنسـان بمجتمعه وذلـك من خلال السـلوك والتعامل الايمانـي مع المجتمع ككل وبالتالي يكون هذا الإنسان أنموذجاً للإيمان من جهة، ومطبقاً مؤتمـراً بالامـر الإلهـي ثانياً، مما لـه الاثر الواضـح في اخفاء الصـورة الايمانية على هذا الإنسـان، من هنـا نفهم إن الإيمان لا يتحقـق إلا بهما كطائر لا يطـير إلا بجناحين.وبالتالي فإن مسـألة علاقة المؤمن بمجتمعه تبدأ اولاً بعلاقة الإنسان المؤمن مـع أخيه المؤمن لأن المؤمنين يمثلون صفوة المجتمع الإنسـاني بل هم أسـاس المجتمعات البشرية على مر العصور، فمن خلال ترسـيخ العلاقـات الاجتماعية بين المؤمنين وانتشـار السـلوك الايمانـي بينهم يعطي قـوة الدين للمجتمع وسـعادة المؤمنين في عيشـهم وحياتهم الدنيوية والتي تشكل العامل المهم في دفع المؤمنين الى الاندماج التام في طريق العبودية لله تعالى.

من هذا نجد ان الإمام الجواد عليه السلام أكد على هذه الحقيقة من خـلال أحاديثـه أو قل وصاياه التي اوصى بها المؤمنين ومن أهم تلـك الوصايـا التي أوصاها عليه السلام هي هذه الاحاديث التي سـوف نسـتعرضها مع أيراد بعض التوضيحات على اقوال هذا الإمام العظيم وأحد المربين لأمة محمد صلى الله عليه وآله.

الحديث الأول

قال الإمام الجواد عليه السلام :

« من وعظ آخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانيةً فقد شانه»

هذا الحديث الشريف الصادر من الإمام الجواد عليه السلام يوضح فيه أن الموعظة للأخوان ربما يصل في بعض الاحيان الى درجة الوجوب، فهو من أهم مصاديق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو في هذا الحديث يعلم الأمة الاسلوب الحضاري في وعظ الاخوان بطريقة غير منفّرة، وهي من الخصال الشريفة التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون كافة لما لها من آثار اجتماعية وإيمانية عظيمة لو طبقت بشكل صحيح.

ففي هذا الحديث الشريف يضع الإمام الجواد عليه السلام قاعدة لهذه الخصلة الاخلاقية الاجتماعية وهي أن من أراد ان يكون واعظاً لأخيه المؤمن فلا بد أن يختار الجو المناسب للوعظ والنصح، وأن يختار الواعظ الظروف الملائمة وإلا سينقلب هذا الوعظ والارشاد الى أمر سلبي بعد أن كان يريد منه أمراً أيجابياً مفيداً، وإن من اهم الاسباب في انقلاب الموعظة للأخ المؤمن الى امرٍ قبيح مستهجن هو انك تنصح أخاك علانية وأمام الاخرين فإنه سيؤدي أما الى نكران الامر القبيح والمعصية التي يقترفها ذلك الإنسان، وبالتالي سوف لا تثمر تلك الموعظة، لانه قد

يغضب ويندفـع نحو مخاصمتك أو الرد عليك بإظهار عيوبك امام الحاضرين، فتنقلب هذه الخصلة التي أردت بها أمراً حسناً وايمانيـاً الى أمر سـيء وقبيح مشـحون بالبغضـاء والانتقاص من شخص الاخرين هذا.

ان مـا أوصى به إمامنا الجواد عليه السلام من الموعظة سـراً لها الأثر الكبير في استقبالها بكل رحابة وسـرور لما لها من تأثير مباشـر على ذلك الإنسـان المتلقي، لأنه سيشعر منك حبك له والخوف على دينه ومصالحه الدنيوية والأخروية وكذلك سيكون متأكدا مـن انـك لا تريـد لـه إلا الخـير والصـلاح وليـس غرضـك من هـذه النصيحة والموعظة هو إهانته واسـتضعافه وفضحه أمام الاخريـن، وهناك جهـة ثالثة تتعلق بنفس الواعظ وهي أنه إذا كان نصحـه أمـام جمـع من الناس فقـد يكون ذلـك مدعاة الى حـب الأنا والنفس وحب الشـهرة والسـمعة وهـذه والعياذ بالله من اخطر الأمراض الأخلاقية التي قد يصاب بها الإنسـان من حيـث لا يشـعر، فليعرف مـن يحب الموعظة امـام الملأ لن يكون بـداعٍ ايماني وإنمـا هو داعي النفس الامارة بالسـوء وحب الأنا والذات.

وهذه القاعدة التي بينها الإمام الجواد عليه السلام من اعظم القواعد السـلوكية التي إذا طبقت في المجتمـع الايماني يكون لها معنى وفائـدة عظيمة وتبني مجتمعاً مبنياً على الرقابة والتنبيه من الوقوع في الخطأ أو المعصية.

الحديث الثاني

قال الإمام الجواد عليه السلام «إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»

إن من أكبر الأمور تأثيراً على شخصية الإنسان هي مسألة الصحبة والمعاشرة، بل إن بعض علماء النفس يدعون الى تأثير الجماعة والصحبة في شخصية الإنسان نسبة قد تصل الى ٦٠ - ٧٠٪ وهذا أمر واضح للعيان فإن الإنسان بمجرد أن يبدأ بالتحرير والانفصال عن المعية مع والديه ويكون له ممارسات شخصية مع المحيط الخارجي، نجده سريع التأثير والتأثر مع الغير من ناحية الاكتساب والتعامل مع الاخرين بل قد تصل في بعض الاحيان الى مرحلة رفض ما اكتسبه من والديه وا لجو العائلي ويستبدله بهذا السلوك الجديد التي أثر ووصل اليه من خلال الصحبة والمعاشرة.

لذلك نجد إن أئمة أهل البيت عليهم السلام أكدوا على هذه المسألة المهمة فنجد انهم كانوا يحثون اصحابهم على اختيار الاصحاب وتمحيصهم والتحذير من معاشرة قرناء السوء وأصحاب القلوب القاسية لما لهم من تأثير كبير وواضح في بث روح الفساد والقساوة في نفوس الذين يصحبونهم، ومن الائمة الذين أكدوا على هذا الجانب هو الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام والذي

نحن في استعراض قوله الشريف، فقد أوضح عليه السلام في كلمته هذهِ من أن الشرير وهو الإنسان الحاوي للمفاسد والمعاصي الاخلاقية الكثيرة وسوء تعامله مع الاخرين، حذر من صحبته والاقرار به والمشي على خطاه.

هناك بعض الناس ممن يحملون روح الضعف والخوف في تصرفاتهم وسلوكهم العام نجدهم دائماً يبحثون عن مصادر القوة في المجتمع كي يكملوا نقصهم، فيعوض الإنسان من كانت هذه صفاته من الخوف والتردد وعدم الوثوق بنفسه بمصاحبته للشرير ويتخذه سلاحاً ليدفع به عن نفسه إذا مسه حيف أو قهر.

نجد في كلمة الإمام الجواد عليه السلام معنى تشبيه الشرير بالسيف اللامع الذي يحسن في عين الجاهل ولكنه إذا استعمله في موضع خطأ أصاب نفسه بجرح له أثر بطيء الزوال أو ربما يكون جرحاً لا يندمل فبالتالي يكون ذلك الإنسان الذي اتخذ الشرير صاحباً له ليدفع به عن نفسه من الاخرين سيكون سبباً في أذية نفسه ودفعها الى الخطر الذي ربما يجرحه جرحاً كبيراً لا يلتئم أو إذا التئم فإنه يترك اثراً واضحاً في نفس ذلك الإنسان وشخصيته وسلوكه الخارجي، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يفهم هذا الحديث ايضاً فهماً آخراً وهو أنه إذا صحبت مؤمناً وليس شريراً فإن النتيجة يكون لك هذا

الصاحب يداً قوية تستعين بها على الشدائد والصعاب التي تواجهك في الحياة ولا يكون له أثراً سلبياً على السلوك العام والشخصية، وكذلك الصاحب المؤمن مقوماً لصاحبه ملفتاً الى عيوبه ومساوئه الاخلاقية، بمعنى ان سيكون له عوناً على نفسه الأمّارة بالسوء وناصرا له على الشهوات والرذيلة.

الحديث الثالث

قال الإمام ا لجواد عليه السلام «ملاقاة الإخوان نشرة وتلقيح للعقل وإن كان نزراً قليلاً»

الإنسان بطبعه ميال الى التجمع والاجتماع مع أبناء جنسه ولا يستطيع العيش منفرداً أو وحيداً قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١).

فهذه الآية الشريفة توضح إن الله تعالى جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا وهذا ما قلناه في بداية شرح هذا الحديث

(١) . سورة الحجرات / آية ١٣.

الشريف من أن الإنسان مفطور على الاجتماع والتجمع والحياة المدنية ولكن هذه التجمعات البشرية والتي تكون على شكل شعب أو قبيلة أو غير ذلك تكون دائماً متصفة بقوانين وانظمة إما ان تكون وضعية وضعت من قبل الإنسان أو الهية، وهذا الكلام قلناه في بداية البحث ولكن الذي يهمنا الآن هو إن المؤمن كيف يحافظ على علاقته وكيف يبني علاقات اجتماعية جديدة فمن خلال هذا الحديث الشريف الانف الذكر نجد إن الإمام الجواد عليه السلام يؤكد على التواصل بين المؤمنين المعبر عنهم هنا بالاخوان انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١)

فعبّرت الآية الشريفة عن المؤمنين بإنهم اخوان فجاء قول الإمام الجواد عليه السلام منطلقا من هذه الحقيقة وهي أن في الأخوان - والمقصود بهم المؤمنين- إن في لقائهم وصلتهم آثار كثيرة من أهمها النشرة ومعنى النشرة هو الفرح القلبي والسعادة التي تحصل عليها النفس بمجرد لقاء الاخوان والأحساس بالطمأنينة والراحة النفسية وهذه الحالة التي تحدث للمؤمنين من لقائه لاخوانه تفيد كثيراً في تنظيم حياته الاجتماعية وكذلك التغلب على مصاعب العمل وسرعة الحياة وعدم الانفعال مع صعوبة الحياة والاصابة بالحزن واليأس أو

(١) . سورة الحجرات / آية ١٠.

الضجر الذي يكون بوابة لدخول الشيطان ومسالكه وأعوانه في انخراط ذلك المؤمن نحو المزالق.

أما الفائدة الثانية فان لقاء الاخوان من المؤمنين يعطي فرصة لبعضهم البعض لتبادل الخبرات والتجارب وتناقل الحكمة والتعلم، وهذا هو المعنى الذي اشار اليه الإمام الجواد عليه السلام من أنه تلقيح للعقل فكم من مسألة شائكة تحل بمجرد لقاء الاخوان وكم من حيرة لم يمر بها الإنسان ولكنه اكتسبها من خلال لقائه مع أخوانه مما يعطي تراكم الخبرات لدى الإنسان من خلال كثرة لقاءاته مع اخوانه وذلك لأن من اتصف بصفة الايمان يكون كلامه بعيدا عن فضول الكلام الخالي من المعنى فضلاً عن ابتعاده عن القول المحرم كالغيبة والبهتان وفحش القول فضلاً عن ذلك كله إن المؤمنين ليس بالمهذار أي قليل الكلام يقول أمير المؤمنين عليه السلام «من كثُر كلامه كثُر سَقطُه ومن كثُر سَقطُه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قسى قلبه»، فبالتالي ان لقاء المؤمنين دائماً يكون مصحوباً بالمنفعة والفائدة والاجر والقربة الى الله تعالى بغضّ النظر عن مدة اللقاء طويلاً كان أم قصيرا وهذا هو ما ختم به الإمام عليه السلام قوله «ولو كان نزراً قليلاً».

الحديث الرابع

قال الإمام ا لجواد عليه السلام «أهل المعروف الى اصطناعه أحوج من أهـل الحاجـة اليـه، لأنّ لهم أجـره وفخره وذكـره، فما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه»

إن في الحديث مضامين شـريفة آشـار اليها الإمام ا لجواد عليه السلام أهمها

١. إن اصطنـاع المعـروف للناس من اهـل الحاجة قد يجعل في نفس الإنسـان مدخلا للعجب والمنـة، وهذا يؤدي به الى فقدان ثـواب هـذا العمـل وحبطه وكذلك يـؤدي به الى اقتراف سـيئة فيضيفها الى سـيئاته فينقلب العمل من الخير الى الشـر قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

(١) . سورة البقرة / آية ٢٦٤.

فينبـه الإمـام بهـذا الحديـث الشـريف الى ان الإنسـان الذي يصطنـع المعـروف لا يذهبنّ به الشـيطان الى أنه متفضل على الاخريـن من ا لمؤمنـين وغيرهم بل انه محتاج الى هذا المعروف وآثـاره عليـه اكثـر من آثاره علـى أهل الحاجة، وهـذا أهم علاج يعـا لج به الإنسـان نفسـه إذا راودتـه وصورت له هـذا المنة على الاخرين والامتنان عليهم.

٢. إن الإنسان وإن كان هو صاحب المعروف للآخرين لكنه يبقى محتاجـا لهم، وذلك لإن حصوله على الأجر والثواب من خلال اصطناع المعروف للناس لا يحصل عليه لولا وجودهم، فيكونون هم العلة في حصول الإنسان الصانع للخير على الاجر والمثوبة مـن الله تعـالى، بمعنـى لـو لا وجود أهـل الحاجة للمعـروف لما حصـل على هـذا الفخر والافتخـار، ومن الظاهـر أن الافتخار لا يكـون معنـاه هو الافتخار على هـذا وذاك بإنه صنع المعروف وقدم المسـاعدة لهـم، بل على العكس سـيكون هذا مـن الرذائل الاخلاقيـة، بـل المقصود بالافتخار هنا هو أن الإنسـان يكون له فخر بين الناس أو يعرف بالفخر بين الناس لاصطناعه المعروف لأهل الحاجة.

٣. إنه يكون في ذكر حسن عند الناس في حياته وبعد مماته وهذا الذكر الحسن له يكون منشؤه هو اصطناع المعروف للناس، وهذه السـيرة والذكر الحسـن الـذي اصبح له فائدة كبـيرة من أهمها

أنه سيشمل بالرعاية الإلهية، وذلك من خلال ذكر المؤمنين له بالخير بعد مماته فيكون مستحقاً للثواب والمغفرة العظيمة من الباري عز وجل وورد في هذا المعنى الحديث الشريف الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال

«إذا مات المؤمن فحضر جنازته اربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا اللهم إنا لانعلم منه إلا خيرا وأنت أعلم به منا، قال الله تبارك وتعالى إني قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون»[1] فبالتالي يكون الإنسان بحاجة الى هذه المغفرة النازلة عليه من ربه الكريم وهو في تلك الحالة وهذه المغفرة النازلة له أحد أسبابها هو اصطناع المعروف للمؤمنين.

الحديث الخامس

قال الإمام الجواد عليه السلام «من أصغى الى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان أبليس فقد عبد أبليس».

في هذا الحديث الشريف يوضح الإمام الجواد عليه السلام فيه إن عملية الاصغاء والسماع للنطق لها طريقان الطريق الاول

(١) . الخصال ج ٢/ ص ١١٠-١١١، البحار ج٧٨/ ص٣٧٦.

هـو طريـق الناطق الالهـي وهذا يمثـل جميع الامـور المتعلقة بحيـاة الإنسـان الاخروية بالاضافة الى الامـور الدنيوية والتي تعد طريقاً للاخرة، فلو أصغى الإنسـان مثلاً الى امور تهمّه في أمور الصحة الجسـدية مثلاً فسـيكون هذا الناطـق ناطقاً عن الله وذلـك مـن خلال العقيدة بإن الله هو من منح هذا الجسـد للإنسـان فهو هبة من الله اليه، فيكـون نتيجة لهذه العقيدة إن الإنسان يكون مسؤولاً عن صحة هذا الجسد وصلاحه ولا يرمي به التهلكة قال تعالى:

﴿لاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(١)

إذ إن الإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن جسده أمام الله وهو محاسب عن ما إذا اودي به الى اتلافه بغير الطرق التي شرعها الله تعـالى لـه كالجهاد في سـبيل الله تحت رايـة المعصوم، وعلى العمـوم فـإن كل ناطق له علاقة مباشـرة أو غير مباشـرة بحياة الإنسـان في الدينـا والاخرة فيكون داخـلاً في الناطقية عن الله أما الطريق الثاني فهو طريق الناطقية عن ابليس وهو كل أمرٍ في صـورة الدعوة الى اتباع الشـهوات والملذات الدنيوية المحرمة كاسـتماع الاغاني والـكلام الفاحش ومشـاهدة الصور الخليعة وغيرها والتي كثرت في زماننا هذا، بل أننا نجد إن بعض الناس وخاصـة المؤمنين بـدأ بالوقوع في هـذه الحبال الشـيطانية من حيث لا يشعرون.

(١) سورة البقرة / آية ١٩٥.

ففي هذا الحديث الشريف يضع لنا الإمام ا لجواد عليه السلام قانوناً وميزانـاً تـزن به كل شـيء ينطـق أمامنا في حـال إسماع صوته لنا، وهو الناطقية عن الله أو الناطقية عن الشـيطان ولا ثالث لهمـا فمن هنـا نفهم ايضـاً إن كل ناطق لا ينطـق عن الله فهو مـن القسـم الثانـي قطعاً وهـو صوت إبليـس عليـه لعائن الله ولا يوجـد ناطـق لا ينطـق عـن الله ولا ينطـق عـن ابليس كما قـد يتوهم البعض، فهذا التقسـيم تقسـيم خطير يوضحه لنا إمامنا ا لجواد عليه السلام هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد إن الإمام ا لجـواد عليه السلام يجعل هناك تلازماً بـين الاصغاء الى الناطق وبين العبـادة فكل من اصغى الى ناطـق تحقق مصداق من مصاديق العبـادة سـواء أكان الناطـق عن الله أم كان النـاطـق عن ابليس، وعليـه فـإن كل من أصغى الى ناطق عن الله فإنه في حالة عبادة الله عز وجل وكل من أصغى واسـتمع وشـاهد ناطق عن أبليس فإنه يعبد أبليس لعنه الله فإما إن كان مسـتمع لكلا الناطقين نعني الله وابليس فهذا هو الاشـراك بالله لأنه أشرك مع الله في العبـادة غـيره وإن كان مصغياً لصوت إبليـس فإنه قد كفر بالله عز وجل قال تعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١)

هـذا هـو الميـزان الذي وضعـه لنـا إمامنـا ا لجـواد عليه السلام فلا بد

(١) . سورة يس / آية ٦٠.

أن نواجـه هـذه الحقيقة الصعبة التي قد يقـع فيها الكثير منا وخاصـة في أيامنا الحاضرة ونحن نعيش حربـاً فكرية وثقافية وعقائديـة شعواء ضـد الاسـلام والديـن والعبوديـة لله تعالى ومحبة واتّباع أهل البيت عليهم السلام.

الجهة الثانية

سـلوك الفـرد تجـاه المجتمـع كافـة بغـض النظر عـن الدين والمذهب والعِرقْ:

نحـاول في هـذه الجهـة الثانيـة التركيـز علـى وصايـا الإمام الجـواد عليه السلام في تعامـل المؤمن مـع مجتمعـه ككل ولا ينظر الى اختلاف أفراد المجمتع حسـب انتمائهـم وافكارهم وهذه الجهة مهمـة جـداً في تطبيق الحيـاة المدنيّـة الآمنـة والمطمئنة، فمن الملاحـظ إن الإمـام الجـواد عليه السلام انتهـج منهـج جده رسـول الله صلى الله عليه وآله ومـن بعده آبائـه الطاهرين عليهم السلام من إن منهجهم كان مهتماً اهتماماً واسعاً للأمة البشرية ككل فنجد اليهود والنصارى كانوا يعيشـون في مدينـة رسـول الله صلى الله عليه وآله مع أنهـم لم يكونوا مؤمنين برسـالة النـبي صلى الله عليه وآله ولكـن مع ذلك كانوا يعيشـون بسـلام وأمان ولهـم حقـوق وعليهم واجبات بغض النظر عـن المعتقد والدين والعِرق فبالنتيجة نجـد إن كلمات الأئمـة عليهم السلام أكدت على هذا

الجانب وهو جانب الحياة المدنيّة وإثبات قوانينها للناس عامة لذا سنحاول استعراض بعض هذه الكلمات النورانية الصادرة من ثغر الإمام العطر.

الحديث الاول

قال الإمام الجواد عليه السلام «من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمرٍ فرضيه كان كمن شهده».

يفهم من هذا الحديث الشريف أن الإمام الجواد عليه السلام نبّه على قضية مهمة في المجتمع وهو الاشتراك في الافكار والمعتقدات والافعال الخارجية بمجرد الرضا به أو رفضه بغض النظر عن التواجد الفعلي أو الغياب عنه، وبعبارة ثانية إن أي شيء تؤيده بعقلك وفكرك فأنت تكون مسؤول عن النتائج وكذلك إذا كنت رافضاً له فتكون ايضاً متحملاً للنتائج حتى وإن لم تكن من المشتركين فعلاً مع اصحاب تلك الفكرة وذلك المعتقد والتجمع الإنساني وكنت غائباً عنه او بعيداً منه، وهذا الحديث منطبقاً انطباقاً تاماً على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حينما قال «من أحب قوماً حشر معهم ومن أحب عملَ قومٍ أُشرك بهِ».

فتكون النتيجة لحديث الإمام الجواد عليه السلام إن الإنسان يجب إن يكون حذراً في مسألة قبول أو رفض الأمور لأنه سيستتبع ذلك الرضا أو الرفض النتائج المترتبة عليه.

الحديث الثاني

قال الإمام الجواد عليه السلام «إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له»

يضع الإمام عليه السلام في هذه الكلمات الشريفة قاعدة مهمة في انجاز الاعمال والامور التي يريد الإنسان أن ينجزها ويتعامل بها في قضاء حوائجه وإنجاز اعماله، وذلك بكتمان الامور وعدم البوح بها أمام الآخرين لحين استحكام الامر وتمامه، فإن ذلك يحتاج الى كتمان لوجود المعارضين لهذا الامر أو ذاك، وربما الحاسدين والاعداء والمنافسين له في نفس العمل وبالتالي لا بد لكل إنسان إذا اراد إتمام أمرٍ فعليه ان لا يظهره إلا بعد استكماله واستتبابهِ.

الحديث الثالث

قال الإمام الجواد عليه السلام «مَن أمّلَ فاجراً كانَ أدنى عقوبته الحرمان»

في هذا الحديث الشريف يوضح الإمام الجواد عليه السلام أن الفاجر لا نفع منه ولا خير أبداً لأنه غير ملتزم بكل قاعدة اخلاقية

أو شـرعية وبالتالي لا يُتأمل منه كل خير، فالإنسـان الذي يثق بإنسان فاجر إذا لم تصبه تبعات مؤذية له من جراء تأمله لهذا الفاجر فإن الفاجر هو إنسان غير حريص على فائدة الاخرين وغـير ملتزم بشـرف وذمة ولا يخاف حـدود الله وعليه من كانت هذه صفاته لا يأتي منه إلا الشرّ والحرمان.

الحديث الرابع

قال الإمام الجواد عليه السلام «من عمل على غير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه»

في هـذا الحديـث يبين لنا الإمام الجواد عليه السلام قاعدة أخرى تهم المجتمع ككل، وهو اختيار الرجل المناسـب في المكان المناسب كما يقـال في هـذه الايـام، وذلك من خـلال هذا الحديث الشـريف، فيجعـل الإمـام عليه السلام قاعـدة كليـة مـن أن العامل بغـير علم ولا خبرةٍ، سـيكون مصاحبـاً للجهل في ممارسـاته العملية، وحتما سـتكون النتائـج عكسـية من هذا العمـل يصحبهـا الكثير من السـلبيات التي سـتطغى علـى الايجابيات، وبالتالي سـتتراكم هذه السـلبيات في العمل ما تؤدي الى فسـادهِ وهلاكه فلا يكون هناك اي فائدة من هذا العمل.

نجـد إن هذه القاعـدة العملية لو طبقت في المجتمع تطبيقاً

صحيحاً لظهرت النتائج المثمرة في المجتمعات الاسلامية بعيدا عن المحسوبيات الشخصية وغبن حق الاخرين ممن لهم الأهلية في تسلم المناصب والمهام في المجتمع، وهذا ما يؤدي الى تطور الدولة على المستوى العلمي والاداري والصحي والاقتصادي وغيرها، كما سيكون هناك دافعاً قوياً لكل من اراد أن يعمل عملاً أن يتعلم ويعرف كل تفاصيل ذلك العمل أو تلك المهنة التي يريد أن يحترفها أو يأمل في توليها، وهذا مع الاسف لا نلحظه في أيامنا هذه في مجتمعاتنا الاسلامية بل نجد إن المجتمعات الغربية خطت نحو التطور المدني والرقيّ الحضاري من خلال تطبيق هذه القاعدة الاجتماعية والعملية المهمة.

الحديث الخامس

قال الإمام الجواد عليه السلام «كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة».

إن من أهم المسائل التي تؤدي الى تردي حالة المجتمع علمياً وثقافياً هو وجود المغرضين والخونة في ذلك المجتمع الذين يعملون إما لخدمة مصالحهم الشخصية فقط وسلب حقوق الاخرين وإما يعملون لجهة معادية تريد لهذه الامة الانحطاط والتردّي الاخلاقي والعلمي والثقافي، وهذه المجموعة في المجتمع

لهـا دور خطـير من خـلال اختفائهـا وعملها بالسـر، وبالتالي سـتخرب وتدمر المجتمعات من حيث لا يشـعر الاخرون، فلا بد أن يطلـع أفـراد من المجتمع على هـؤلاء ليكونوا مطلعين على نوع الخيانة وطريقة تخريب هذه الامة وتهديم بنائها وأساسها الاجتماعي والعلمي والثقافي.

في هـذا الحديـث نجد ان الإمام الجـواد عليه السلام يحذر الامة ككل الى هذا الخطر ويجعل السكوت عن الخونة بغض النظر عن نوع الخيانـة هي خيانة بحـد ذاتها والأمين لهم والحافظ لمصالحهم وأعمالهم يكون مشـتركاً بالخيانة معهم ويلزمه ما يلزمهم من تبعـات خيانتهم من العقوبـات الدنيويـة والاخروية، فلو طبق هـذا الحديث في أمتنا الاسـلامية ككل ومجتمعاتنا لوجدنا أن لا مكان للخونة في المجتمع وسينقرض وجودهم داخل المجتمع مـن جـراء ابتعاد الناس عنهم بعد تشـخيصهم وعدم إعانتهم، بـل لا بد من فضحهم أمام الناس والتصدي لهم بكل عزم وقوة ولتكـن الرقابة المجتمعية على كل فـرد من الافراد نافذة وقوية ولها تأثير مباشـر مما يخلق جـدار ردع قوي أمام كل من تراوده نفسه في خيانة الآخرين ليتحول المجتمع او الدولة الى آية من آيات النزاهة.

الخاتمة

بعد استعراض بعض كلمات النور الصادرة من إمام عظيم الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام الذي كان همه كآبائه هو بناء مجتمع إيماني سليم قائم على العدل والأمانة والسلام والألفة، وكان يريد للمؤمنين أن يكون لهم دور فاعل في المجتمع ، دور إيجابي يدفع نحو الإصلاح والصلاح، وعدم التنصل من المسؤولية الفردية بحجة ان احدنا لا علاقة له بما يجري، ولا ننسى قول معلمنا الأول الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله: (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1].

اراد لنا هذا الإمام العظيم أن لا يقتصر دور المؤمن على العبادة والتنسّك والاعتزال عن الناس بل له دور مهم ربما يكون أعظم من الدور الاول في بعض الاحيان كما صرح به الإمام الجواد عليه السلام حينما قال

«القَصدُ إلى اللّه تعالى بالقلوبِ أبلغُ من أتعابِ الجوارحِ بالأعمال»

نسأل اللّه تعالى أن يجعلنا ممن يأخذ بكلامهم ويتبع أنوارهم إنه حميد مجيد والحمد للّه رب العالمين.

---

(١). كنز العمال ج١ ص١٤٩

الفهرس

السلام عليك
يا مولاي يا محمد الجواد



الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

fikriya@aljawadain.org راسلونا
www.aljawadain.org زورونا